مجلة الجمعية الجغرافية الليبية

مجلة علمية متخصصة تصدر عن الجمعية الجغرافية الليبية



العدد الخامس

2016

مجلـــة

الجمعية الجغرافية الليبية

العدد الخامس . 2016م

مجلة الجمعية الجغرافية الليبية

البحوث والمقالات الواردة في هذه المجلة تعبر عن وجهة نظر أصحابها ولا تعبر بالضرورة عن رأي مجلة الجمعية الجغرافية الليبية

تتم المراسلات والمشاركات على العناوين التالية:

- مكتب الجمعية الجغرافية الليبية بمدينة الزاوية .
- إدارة فرع الجمعية بالمنطقة الغربية، طرابلس.
- إدارة فرع الجمعية بالمنطقة الجنوبية، سبها.
- إدارة فرع الجمعية بالمنطقة الوسطى، سرت
- إدارة فرع الجمعية بالمنطقة الشرقية، بنغازي

الوكالة الليبية للترقيم الدولي الموحد للكتاب

دار الكتب الوطنية

بنغـازي ـ ليبيا

هاتف : 9097074 - 9096379 - 9090509

بريد مصور : 9097073

البريد الإلكتروني :

nat_lib_libya@hotmial.com

رقم الإيداع : / 2009

ردمك ISBN 978 – 9959 – 852 – -

التنفيذ الفني / أكرم محمود جودة

تصميم الغلاف / إياد أحمد جودة

بسم الله الرحمن الرحيم

تقديم

يسَّر الله سبحانه وتعالى لبلادنا أن تتغلب على القوة الغاشمة التي كانت تشدها إلى الوراء وتعرقل مسيرة التطور فيها، وقد دفع الشعب الليبي في سبيل ذلك ثمناً غالياً من الدماء والأشلاء والأرواح الزكية ومن الدمار والخراب لكل مناحي الحياة، ولكن كل ذلك لا يثنينا عن مواصلة التقدم والدفع بعجلة التطور إلى الأمام. لقد أثبت الشعب الليبي دائماً أنه شعب حي قادر على مواصلة بناء الحياة من جديد بعد كل نكسة وفي أعقاب كل كبوة.

كابدت بلادنا الدمار والمعتقلات والموت في مكافحة الاستعمار الإيطالي، ثم جعلنا ذلك الاستعمار نعاني ويلات حربين عالميتين لا ناقة لنا فيهما ولا جمل. وتحرر الشعب الليبي من ربقة الاستعمار وخرج من تحت ركام حربين عالميتين يبني البلاد بجهد جبار وعزم لا يلين، ولكن القدر رماه بانقلاب عسكري أفضى إلى حكم دكتاتوري ظالم مستهتر هدم ما بناه الشعب وأتى على الأخضر واليابس، وانتفض الشعب الليبي من جديد باذلاً النفس والنفيس ليقذف بذلك الحكم المتسلط إلى مزبلة التاريخ، وما زال يعاني اليوم من مخلفات ذلك الحكم الغاشم وسلبياته، وينظر إلينا الناس اليوم بين شامت فرح بما نعاني وبين مشفق يرنوا إلينا بنظرة متعاطفة وقلب واجف يرجو لنا النجاة من الأحداث التي تحاول أن تدفع بنا إلى مصير مجهول. ولكن بوارق الأمل تلوح بين الفينة والفينة نابعة من عواطف وتصرفات الوطنيين من الليبيين ذوي المعدن النقي والإيمان القوي والعزم الأبي، ستبعث فينا تلك الومضات روح الأمل بالمستقبل والثقة بالنفس والتضحية في سبيل الوطن وعزة المواطن. لذلك نقف اليوم واثقين بأننا سنتمكن من بناء وطننا والدفع به

إلى التألق والأمان والعزة، وستتوالى أجيال من أبناء هذا الوطن تصحح ما فسد وتسترجع ما سلب وتبني ما تهدم.

تنظر الجمعية الجغرافية الليبية لجميع فروعها ومنتسبيها إلى المستقبل بثقة وأمل، وسنكون مستعدين لمد أيدنا متكاتفين مع أبناء هذا الوطن المخلصين لنسهم معا في بناء المستقبل المشرق، مؤتمراتنا العلمية الجغرافية تتواصل، وإنتاجنا العلمي يزداد عمقاً وانتشاراً، وها نحن نضع بين يدي القارئ الكريم العدد الخامس من هذه المجلة، وهو الإصدار الثاني بعد انبلاج ثورة 17 فبراير، وقد عقدنا العزم على مواصلة مسيرة هذه المجلة لتسهم بفاعلية في نشر العلم والثقافة، ولتتيح مجالاً آمناً للجغرافيين الليبيين لنشر إنتاجهم العلمي دون قيود، نعمل من أجل تحقيق حرية البحث والدراسة والإبداع في مجال علم الجغرافيا، وسنسعى دائماً إلى الأفضل، والله من وراء القصد.

جُهّز هذا العدد ليصدر خلال عام 2013 ميلادية، ولكن الظروف الصعبة والأحداث المؤلمة التي تمر بها ليبيا بصفة عامة وبنغازي بصفة خاصة، حالت دون إصداره في موعده.. نرجو من القارئ الكريم ومن السادة الذين أسهموا بالكتابة في هذا العدد أن يتقبلوا خالص اعتذارنا على هذا التأخير الخارج عن إرادتنا، ونبتهل إلى العلي القدير أن ينقذ بلادنا الحبيبة من كل مكروه، وأن يقيها شر الفتن وعبث العابثين، ويسبغ على ليبيا الأمن والأمان والاستقرار ويحفظها ويصونها ويبقيها حرة أبية.

أ. د. منصور محمد الكيخيا
رئيس الجمعية الجغرافية الليبية

الافتتاحية

هذا هو الاصدار الخامس من مجلة الجمعية الجغرافية الليبية يرى النور ويصل إلى أيدي القراء ــ خاصة الجغرافيين منهم ــ وهو يحوي عناوين متنوعة من شتى العلوم الجغرافية لدراسات كتبت بأقلام إخوة لهم مقدرة وكفاءة فيما كتبوا عنه.

ونحن نعتبر هذا العدد محاولة جادة لرسم طريق المستقبل، فدائرة تعاون الجغرافيين الليبيين مع هيئة تحرير هذه المجلة بدأت تتسع، واسهاماتهم بدأت تتنوع وباتت واقعاً يدركه الجميع، مما يدفع بي إلى الشد على الأيدي آملاً بذل المزيد من التعاون مع هيئة التحرير حتى نسهم جميعاً في حث الخطى للدفع قدماً بهذه المطبوعة الثقافية العلمية لبلوغ بر الأمان ومواصلة السير بثبات في سبيل التطور والنجاح، ونحن نختزن استعداداً يوفر لهذا الوطن انجاز كامل أمانيه، ودمتم بخير.

أ.د. الهادي مصطفى بولقمة

رئيس التحرير

محتويات العدد

الصفحة	العنوان

موت اللغات في أفريقيا

دراسة في الجغرافيا السياسية

د. خالد محمد بن عمور

قسم الجغرافيا، جامعة عمر المختار (البيضاء)

مقدمة

تعد اللغات أحد أبرز ملامح الهوية القومية للمجتمعات وتطورها الثقافي ووسيلة اتصالها مع الشعوب الأخرى، وهناك من يذهب إلي اعتبار اللغة مصدراً من مصادر الاقتصاد والهيمنة العالمية والإقليمية، وبالتالي فان موت اللغات أو انقراضها يمثل نهاية لتلك المجتمعات من الناحية المعنوية أو المادية، كما أن ذلك سيقود إلي تغير الخارطة الجيولغوية علي النطاق العالمي والإقليمي في ظل معطيات ومؤشرات عصر العولمة الأمر الذي دفع الكثير من المجتمعات –لاسيما في عصر العولمة وتحولاتها الاقتصادية والاجتماعية والمعلوماتية –إلي اتباع سبل متعددة لمواجهة ظاهرة موت لغاتها بما يؤمِّن لها استقراراً مجتمعياً وهوية تحدد توجهاتها محليا وإقليميا وعالميا.

ويري الكثير من الباحثين أن اللغة أقوي رباط معنوي بين الأفراد والشعوب، متى تخاطب الأفراد بلغة واحدة تقارب تفكيرهم ونشأ فيهم شعور بالتعاطف يؤدي إلى التالف وتكوين أمة واحدة، واللغة عماد الثقافة للشعوب، والثقافة هي بمثابة الروح للأفراد، بل يذهب الكثير إلي أن الشعوب ليست مجموعة من الأفراد يعيشون بمنطقة واحدة فقط بل مجموعة ثقافية لا يمكن

أن يتكون هذا الشعور والإرادة والفكر إلا بوجود لغة واحدة بوصفها وسيلة اتصال فعالة في تشكيل هذا الشعور والإرادة.

مشكلة البحث

تضم قارة أفريقيا من اللغات عدداً كبيراً أكثر مما تضم أي قارة أخري، بالرغم من أن عددها غير مؤكد، وتنتشر فيها اللهجات بنبراتها، فالقارة تعد أكثر القارات تعدداً لغويًا وأيضا من أكثر القارات موتاً للغات بما يجعل ثقافاتها وعلاقاتها وسجلها التاريخي والحضاري معرضاً للزوال والاندثار الأمر الذي يحتم ضرورة اتباع بعض السبل لمواجهة هذه الظاهرة، ومن هنا تبرز مشروعية دراسة مشكلة موت اللغات في قارة أفريقيا من وجهة نظر الجغرافيا السياسية.

تساؤلات الدراسة

انطلاقا من مشكلة الدراسة فإنه يمكن صياغة بعض التساؤلات التي تخدم هذه المشكلة وهي:

1) ما الأسبابُ التي تؤدي إلي موت اللغات في قارة أفريقيا؟
2) ما عواقبُ موت اللغات في قارة أفريقيا؟
3) كيف يمكن مواجهة ظاهرة موت اللغات في قارة أفريقيا؟

أهداف الدراسة

تسعي هذه الدراسة إلي تحقيق الأهداف التالية:

1) محاولة تشخيص أسباب موت اللغات في قارة أفريقيا.
2) معرفة عواقب موت اللغات في قارة أفريقيا.

3) بيان التوزيع الجغرافي للأقاليم اللغوية في قارة أفريقيا.

4) تحديد سبل مواجهة ظاهرة موت اللغات لتفادي عواقبها السلبية.

أهمية الدراسة

تكمن أهمية الدراسة فيما يلي:

1) محاولة تحديد الأسباب الحقيقة لموت اللغات في المجتمعات الأفريقية في ظل بروز ظاهرة العولمة.

2) تعد الدراسة من الدراسات القليلة جداً التي تتناول موضوع موت اللغات في قارة أفريقيا من منظور الجغرافيا السياسية.

3) يمكن أن تشكل الدراسة مبادرة أولية للباحثين في الجغرافيا السياسية لوضع استراتيجيات لمواجهة ظاهرة موت اللغات في القارة الأفريقية.

مفهوم اللغات

اللغة من معالم ومقومات الثقافة وهي تمثل هوية المجتمع ودرجة تماسكه، بل تعد اللغة من معايير النضج الاقتصادي والهيمنة السياسية، ومن حقائق التفاعل المكاني العالمي، حيث نجد أن اللغات تتصارع من اجل البقاء أولا ، ومن أجل الانتشار ثانياً ومن أجل السيطرة ثالثة ، وتظهر خطورة الوضع عندما نعرف أن معدل اختفاء اللغات يفوق معدل اختفاء الثدييات وأربعة أضعاف معدل اختفاء الطيور، وأنه لو استمر الأمر علي هذا الحال وبهذه المعدلات فان عالم المستقبل لن يشهد سوى عشر لغات قوية أو أكثر قليلا.

ولم تعد اللغة مجرد وسيله للتداخل والتفاهم بل أصبحت أداة للهيمنة والتأثير والنفوذ (الحديثي 2007: 3)، وقبل الخوض في هذه المفاهيم المختلفة

يجدر بنا تحديد الملامح العامة لمفهوم اللغة ، فقد تعددت تعاريف اللغة وهـــي مشكلة تبدو غريبة ترتبط بمفهـــوم اللغـــة (جـــابر 2004: 347)، فيعرفهـــا سابير Sapir بأنها وسيلة بشرية وغير غريزية لنقـــل الأفكـــار والأحاســـيس والرغبات بواسطة رموز تنتج طوعا ، أما هول Hall فيقول إنَّ اللغة عبارة عن نمط سلوك جماعي يقوم البشر بواسطته بالاتصال وتفاعل بعضهم ببعض برموز شفهية سمعية توافقية يستخدمونها بحكم العادة (الحديثي 2007: 3).

وقد صاغت الجمعية الأمريكية للنطق واللغة والسمع المقرونة باســـم اشا (ASHA) تعريفاً أكثر شمولاً ودقة باعتبار اللغة نظام معقد ديناميكي من الرموز المتفق عليها يستخدم في شتى أنواع التفكير والتواصل ، ويؤكد هـــذا التعريف أن اللغة تتطور وفقا لنسق اجتماعي ثقافي معين تحكمه قواعد معينة تحدد سلوك اللغة في عدة مستويات، كما أن اكتساب اللغة تحكمـــه مجموعـــة متشابكة من العوامل البيولوجية والادراكية والنفسية والبيئية (العيسوي 2000: 186-187).

□□ائ□ اللغة

اللغة هي احدي السمات الحضارية للمجتمعات البشرية وعنصر من عناصـــر الهوية القومية والثقافية ومكون أساسي من مكونات آلامه ومن مقومات الدولة البشرية، فهي وسيله للتفاهم والتواصل الاجتماعي والثقافي وأداة لنقل الأفكار والقيم والتراث، ووسيلة من وسائل تطور المجتمعات والدول، ولذا فهي تمتاز بعدة خصائص من منظور الجغرافيا السياسية نحدد أهمها فيما يلي:

1) قابلية اللغة للنمو والتطور: تمتاز اللغات بعدم الثبات فتتغيـــر بـــشكل مستمر تضاف إليها الكلمات والمفردات، وفي نفس الوقت تتلاشي منها

بعض المفردات والكلمات، كما أنَّ لديها القدرة علي الانتشار في غير موطنها بحكم انتشار أعداد المتكلمين بها وازديادهم، كما أنها في نفس الوقت قد تتعرض للانكماش والانقراض مع تناقص أعداد الذين يتكلمون بها، بدليل اللغات أنَّ التي انقرضت وأصبحت غير موجودة إذْ تدل الشواهد الأثرية علي ذلك. والتغيرات التي تحدث في اللغات حاليا ارتبطت بالاختراعات التقنية والتكنولوجية وانتشارها في مناطق مختلفة من العالم، فكثير من المفردات الحديثة ما هي إلا كلمات جديدة ارتبطت بالثورة التكنولوجية.

2) قابلية اللغة للترجمة: تعد اللغة وسيلة من وسائل النقل والتواصل الحضاري وقيمتها في هذا الجانب كبيرة جداً لما لها من أهمية في تحقيق مكاسب حضارية بين المجتمعات المختلفة ، ولولا إمكانية الترجمة بين اللغات المختلفة لما وصل التراث الإغريقي إلي العربية والتراث العربي إلي أوروبا، فالترجمة عنصر من عناصر قهر الحدود اللغوية (السيد 1989: 96).

3) قدرة اللغة علي تكوين أقاليم لغات: تنتشر اللغات بفعل عدة عوامل وهذا الانتشار مرتبط بعوامل اجتماعية وسياسية واقتصادية؛ فاللغة تنتشر مع انتشار الاستعمار أو مع انتشار تجارة دولة ما، فحركة الاستعمار الفرنسي والبريطاني في قارة أفريقيا شكلت أقاليم ثقافية وأصبحت اللغة الفرنسية واللغة الإنكليزية ذات طابع سياسي تاريخي، مما مكن كلاً من فرنسا وبريطانيا من تكوين روابط وكتل سياسية كأداة ساهمت فيها اللغة كعامل أو نتيجة من نتائج الاستعمار الفرنسي والبريطاني لقارة أفريقيا (السيد 1989: 95-96).

تصنيف اللغات:

لا يعرف على وجه الدقة عدد اللغات التي يتحدث بها سكان العالم لأن ذلك يرتبط بمدى تعريف اللغة، فلكل لغة العديد من اللهجات الثانوية، وإذا ما أهملنا هذه اللهجات يمكن القول أنَّ هناك حوالي 3000 لغة في العالم، ويتباين عدد المستخدمين للغات بين سكان العالم بحسب عدة عوامل سياسية واقتصادية واجتماعية، ويمكن تقسيم دول العالم حسب اللغات إلى:

1) أقاليم أحادية اللغة: فمن الممكن أن تنتشر لغة واحده فوق مساحة شاسعة عندما يحدث أي من المؤثرات الآتية:

أ. هيمنة عسكرية آو إدارية أو تكنولوجية لمجموعة من البشر على باقي أفراد السكان في المنطقة.

ب. حدوث تطورات واسعة النطاق في كل أرجاء الإقليم متمثلة في نشر الأفكار الثقافية والاقتصادية العلمية.

ج. انعدام العوائق الطبيعية التي تمنع الاحتكاك والاتصال الفكري بين المجموعات البشرية في الإقليم (العيسوي 2000: 190-193).

فالمناطق السابقة توضح كيف تسود لغة واحده علي بقية المناطق، فمثلا اللغة العربية انتشرت مع انتشار الدين الإسلامي كما انتشرت اللغة الإنكليزية والفرنسية والأسبانية والبرتغالية لارتباطها بحركة الاستعمار والسيطرة علي عدد من الدول في قارات أفريقيا واسيا والعالم الجديد. وسيادة لغة واحدة بين سكان أي إقليم تساهم في زيادة التفاهم والتضامن وسهولة

الاحتكاك الفكري والحضاري وتصنع ثقافة وحضارة قوية وتخلق شخصية قومية للإقليم تزيد من ارتباط السكان بالمكان (الحديثي 2007: 7–8).

2) أقاليم ثنائية اللغة: أن عددا من الدول والأقاليم لا تستطيع أن تصنع لنفسها شخصية لغوية محددة، ولا تقدر أن تكون لها لغة فصحي رسمية علي كافة أرجاء الدولة أو الإقليم، حيث أن سكانها يتحدثون بلغتين، فالعديد من الدول مثل كندا وبلجيكا تمثل مثالا جيدا للدول ثنائية اللغة، ومع ذلك لا تمثل عقبة أمام وحدة هذه الدول خاصة أنَّها تعطي نوعا من الاستقلالية الذاتية في استخدام هاتين اللغتين (الحديثي 2007: 7–8).

3) أقاليم متعددة اللغات: بعض الأقاليم تعاني من مشكلة تعدد اللغات بين أرجائها ، فكثير من دول أفريقيا تعاني من تعدد اللغات لتعدد القبائل واحتفاظ كل قبيلة بلغتها الخاصة بها، والمثال الواضح الذي يصور هذه الحالة هو دولة نيجيريا التي يزيد عدد اللغات فيها عن 12 لغة تنتشر بين أرجائها، كما أن الهند هي موطن لحوالي 16 لغة، وكل لغة تنقسم إلي العديد من اللهجات حتى أن البعض يقدر عدد اللغات الرئيسية والفرعية بأكثر من 500 لغة ولهجة مما يثير المشاكل المستمرة أمام السلطة المركزية في البلاد (Cohen 1974: 187).

هذا التصنيف للغات وتوزيعها الجغرافي في الأقاليم والدول يمكن أن يعود إلي جوانب سلبية من أبرزها موضوع الأقليات اللغوية، حيث قد تظهر أقليات قومية موالية للدولة، ولكنها تطالب بحريتها اللغوية أو استقلالها اللغوي، وكثيراً ما تعترف الدولة بحرية استقلال الأقليات بلغاتها وتدرسها في

مدارسها، ويرجع هذا لخوفها من المطالبة بالانفصال عن جسد الدولة، إذا منعتها من استعمال هذا الحق، وقد يعود خط الانكسار اللغوي إذا ارتبط بتفاوت الأوضاع الاقتصادية إلي قلاقل داخل الدولة التي تمتلك أقليات لغوية حيث تستغل اللغة ذريعة لإحداث الانقسام والانفصال، حيث يشكل التعدد اللغوي مصدراً من مصادر ما يسمي في الجغرافيا السياسية بالقوي الطاردة أي طرد أطراف الدولة وابتعادها عن المركز بهدف الانفصال (Cohen 1974: 9). وهناك عدة تصنيفات لغوية تستخدم في المجال الجغرافي السياسي أهمها (حجازي 1998: 15−16):

1) اللغة الوطنية: وهي لغة جماعة كبيرة من المواطنين في داخل الدولة الواحدة ولا يعني بالضرورة أنها لغة الأغلبية، فهناك دول داخل قارة أفريقيا ليست بها أغلبية لغوية بالمعني الحقيقي للكلمة بل تسودها عدة لغات وطنية.
2) اللغة الرسمية: وهي اللغة التي ينص عليها في الدستور، وهي اللغة التي تستخدم في إدارات ومؤسسات الدولة المختلفة التي تصدر بها مراسيم الحكومة وتقدم بها الطلبات إلي الوزارات المختلفة ويُتعامل بها.
3) لغة العمل: وهي لغات محدودة العدد استقرت في السنوات الأخيرة في التعامل بين الدول، ففي منظمة الأمم المتحدة ومنظماتها المتخصصة مثل اليونسكو واليونيسيف والفاو نجد مجموعة من اللغات توصف بأنها لغات العمل وهي حاليا الإنجليزية والفرنسية والروسية والصينية والأسبانية والعربية.

كما أن هناك بعض العلماء حاول أن يميز بين نوعين من اللغات هما (فليب 2005: 39):

1) اللغات الميتة: وهي التي لم يعد احد يتحدث بها والتي استطعنا الحفاظ علي أثارها مثل اللغة الإغريقية واللغة اللاتينية.
2) اللغات المنقرضة: وهي التي ضاعت ذاكرتها بصفة نهائية.

وفي أحيان كثيرة تتبع الدول متعددة اللغات ما أوصت به منظمة اليونسكو في استخدام ثلاث لغات هي (برنامج الأمم المتحدة الإنمائي 2004: 60):

1) لغة دولية: وغالبا ما تكون اللغة الرسمية للدولة، وقد تكون لغة الدولة المستعمرة سابقا، وتحتاجها الدولة للمشاركة في الاقتصاديات والشبكات الدولية.
2) لغة تواصلية: وهي لغة تخاطب محلية تسهل على المجموعات اللغوية المختلفة التخاطب فيما بينها، مثل اللغة السواحيلية في دول شرق أفريقيا، حيث يتكلم الناس أيضا لغات عديدة أخرى .
3) اللغة الأم: عندما لا توجد لغة تواصلية أو لغة دولية فإنهم يكونون قادرين علي استخدام لغتهم الأم.

وظائف اللغة

تعد اللغة من أهم العوامل التي تساهم في تشكيل الهوية للأمم؛ فاللغة هي وعاء الثقافة التي هي أساس الحضارة، والحضارة مرآة الهوية، واللغة عامل من عوامل وحدة الشعوب، فهي تساعد على تماسك الشعوب وانسجامها بل تدفع وحدة اللغة إلي الاستقرار السياسي والاقتصادي (العوامي 2010: 6-7) ومن

هذا المنطق تتعدد وظائف اللغة؛ لأنها من القضايا الجوهرية في الدراسات اللغوية، خاصة عند طرح قضية اللهجات والتنوع اللغوي في المجتمع وذلك لان موضوع التنوع اللغوي يمس جانبا كبيراً من وظائف اللغة فعندما تطرق العالم الألماني وليم فون هومبولت William Von Humboldt إلي تعريف اللغة بأنها العضو الذي يصوغ الفكر وهو بذلك يؤكد أن الفعل الذهني يحدث بواسطة الكلام وفي ذلك تأكيد للاتجاه الرامي إلي تناول وظائف اللغة بالنسبة للفرد؛ وعندما عرف انتوني ميلية Antoine Millet اللغة أكد على أنها واقعة اجتماعية أي ظاهرة اجتماعية، بمعني أن اللغة وجود اجتماعي يفرض على الفرد أن يكتسب من خلالها تصورات الجماعة وهو يؤكد على وظائف اللغة الاجتماعية، ولكن اللغة أيضاً وسيلة للتفكير (للفرد والأمة) وذات فاعلية في النقل للمعارف والعلوم ولذا فهي تمتاز بعدة وظائف ممكن ذكر أهمها:

1) اللغة عبارة عن وسيلة لتوصيلِ المعلوماتِ والبياناتِ وتبادلها وتمكن الفرد من اكتساب تصورات الجماعة.
2) اللغة وسيلة للتواصل الاجتماعي بين الناس إذ تسمح بإقامة العلاقات وبالتالي تجسد الوعي الجماعي لدى الأفراد (شتا 1998: 182-184).
3) من وظائف اللغة الأساسية تعزيز الثقافة و الهوية القومية وهي بذلك عامل من عوامل وحدة البلاد .
4) اللغة تغرس الأخلاق والفضيلة في الأمم إلي جانب السلوك القدوة.

التوزيع الجغرافي للغات الأفريقية

توزيع اللغات في قارة أفريقيا شديد التعقيد وأحيانا يصعب توقيعه على خرائط واضحة، كما أن تحليل الخرائط اللغوية يصبح شديد الصعوبة في بعض الأحيان بسبب التداخل اللغوي ولأسباب أخرى ، وقارة أفريقيا حالة اللغات فيها متداخلة وتتغير بشكل مستمر، مما يجعل هنالك صعوبة في التحليل المكاني للغات ،كما أن الخريطة اللغوية تعاني من صعوبة أخرى تتمثل في مشكلة تحديد عدد المتكلمين بلغة معينة لعدم وجود أبحاث كافية بشأنها أو قلة أعداد المتحدثين بلغة معينة مما يجعل من الصعب حصرها أو تحديد مجالها خاصة إذا كانت ضمن منطقة سيادة لغة أكثر هيمنة، ومن الصعوبات الأخرى في التحليل المكاني للغات هو التداخل بين اللغات في المناطق الانتقالية (جابر 2004: 247). ومن خلال دراسة اللغات في قارة أفريقيا يدل الواقع على أن أنماط توزيع اللغات يعود إلي (50) ألف عام مضت، والتوزيع الحالي للغات في القارة يعكس أحداثاً تاريخية مهمة مثل الاستعمار وتحركات السكان وهجراتهم.

إن تاريخ قارة أفريقيا اللغوي والثقافي هو نتاج لإرث ثلاثي أفريقي، سامي، أوروبي، وهي تأخذ هيئة الطبقات، ففي القاعدة نجد اللغات الأفريقية التي يتراوح عددها من 800   1500 لغة، ثم الطبقة السامية ممثلة في اللغة العربية، ثم اللغات الأوروبية (الفرنسية، الإنجليزية، الإسبانية، البرتغالية) (Kasperrson and Julian 1970: 323). وللاستدلال بشكل أكثر وضوحاً يمكن دراسة التوزيع الجغرافي للغات وفقا لما يلي:

1) اللغات الأفريقية: قسم العلماء اللغات الأفريقية إلـي مجموعة من العائلات هي النيجر-كنغو، الافرواسيوية، النيلي الصحراوي، الخوسيان، المالاوية - السواحيلي - الهوسا. فلغة النيجر- كنغو تنتشر بشكل كبير في وسط وجنوب القارة وهي تشغل مساحات شاسعة بالقارة (شكل رقم 1)، أما العائلة الأفرواسيوية التي تمثلها بشكل كبير اللغة العربية فهي تشغل قوساً كبيراً يمتد في شمال القارة الأفريقية إلي الحدود الجنوبية للصحراء الكبرى، أما العائلة النيلية الصحراوية فهي تتوطن في وسط الصحراء الكبرى خاصة في دولة تشاد، أما الخوسيان فتنتشر في جنوب القارة في حين أن العائلة المالاوية تتركز في جزيرة مدغشقر (سعودي 2002: 20-27). أما لغة السواحيلي فهي تتركز في شرق القارة، حيث يتحدث بها خمسة ملايين بوصفها اللغة الأم، فضلاً عما يزيد عن اثني عشر مليوناً آخرين يتكلمونها بوصفها لغة ثانية إلي جانب لغاتهم الأصلية، فهذه اللغة تنتشر في دول كينيا وتنزانيا ورواند وبوروندي حتى شرق زائير، أما على الساحل فتمتد من جنوب الصومال إلي شمال موزبيق، أما لغة الهوسا فهي تنتشر في غرب القارة بدول غانا وبنين وكوت ديفوار وشمال نيجيريا، ولغة الهوسا هي اللغة الأم لحوالي 25 مليون نسمة بالإضافة إلي 20 مليوناً آخرين ليسو من الهوسا.

2) اللغات الأوروبية: وضعت القوى الاستعمارية موضوع اللغة في مكانه الأسمى، لمعرفتهم بأن اللغة وسيلة لأهداف متعددة، أهمها ربط المستعمرات بالدولة المستعمرة حاضراً ومستقبلاً ربطاً لغوياً، ومن ثم ربطها ربطاً ثقافياً وسياسياً واقتصادياً، وهذا واضح حتى بعد خروج

الاستعمار وحصول هذه الدول على استقلالها تصبح لغات المستعمر هي اللغات الرسمية لتلك الدول، فهي لغة الدوائر الرسمية ولغة التخاطب مع العالم الخارجي كما أنها لغة الثقافة والفن والأدب (سعودي 2002: 22–25). وتأتي فرنسا في مقدمة الدول التي نشرت لغتها وثقافتها في أرجاء القارة الأفريقية حتى بعد استقلال الدول الأفريقية، وتمثل منظمة الدول الفرانكفونية أداة قوية لفرنسا في هذا الاتجاه فميثاق المنظمة يقول إنَّ الهدف من المنظمة هو تجميع الدول المتكلمة باللغة الفرنسية، فهي في شكلها الرسمي منظمة ثقافية ولكن لها أبعاد سياسية واقتصادية، وكما يقول الرئيس الفرنسي السابق فرنسوا ميتران: إنَّ الفرانكفونية ليست هي اللغة الفرنسية وحسب، فالانتماء إلي العالم الفرانكفوني سياسياً واقتصادياً وثقافياً يمثل إضافة لكل الدول التي تنضوي تحت هذه المنظمة (بن سالم 2000: 33–45). ونجحت فرنسا في نشر لغتها بدول عديدة بالقارة من أهمها تشاد والكمرون والسنغال وكوت ديفوار والنيجر ومالي وغيرها من الدول التي استعمرتها؛ واتبعت بريطانيا نفس السياسة الاستعمارية لنشر لغتها وثقافتها حتى أصبحت العديد من المستعمرات دولاً فيما بعد تعتمد على اللغة الإنجليزية لغة رسمية لها مثل نيجيريا وكينيا واوغندة وإثيوبيا وتنزانيا، أما المستعمرات البرتغالية في قارة أفريقيا فهي محدودة واشهرها دولة انغولا التي اعتبرت اللغة البرتغالية لغة رسمية لها، ومن هنا نجد أن الخريطة اللغوية للقارة ارتبطت في جانب كبير منها بحركة الاستعمار في الحقبة الاستعمارية.

3) اللغة العربية: اللغة العربية من اللغات الـسامية وهـي تظهـر فـي مساحات شاسعة بالنصف الشمالي للقارة، وهي لغة بارزة الحـضور باعتبارها اللغة الأم لأكثر من 350 مليون عربي يتكلمونها، بالإضافة إلي 220 مليوناً يتكلمونها بوصفها لغة ثانية في القارة مما يجعلها من أهم اللغات السائدة في القارة، وقد ارتبط انتشار اللغة العربية بانتشار الدين الإسلامي وقربها من عدة لغات أفريقية مثل السواحيلية والهوسا والصومالية وتتركز اللغة العربية في قارة أفريقيا في حوض نهر النيل من مصر إلي السودان جنوباً، حيث يقدر عدد الذين يتكلمون بها فـي هذا النطاق الجغرافي بحوالي 130 مليون نسمة بالإضافة إلي سواحل اريتريا وجيبوتي والصومال وبعض مناطق إثيوبيا وتنزانيا خاصة من السكان المسلمين الذين يقدر عددهم بحوالي 37 مليون نسمة، والنطاق الجغرافي الثاني يشمل شمال أفريقيا ويضم دولاً هي: ليبيـا وتـونس والجزائر والمغرب وموريتانيا وشمال تشاد والنيجر ومالي والسنغال ويقدر عدد المتحدثين بها إلي حوالي 132 مليون نسمة.

شكل 1: التوزيع الجغرافي للعائلات اللغوية في قارة إفريقيا

المصدر: سعودي (2002)

إن النمط الحالي للغات في قارة أفريقيا ارتبط بالهجرات والغـزوات بين السكان في الماضي، كما انه ارتبط بنمط الاستيطان والاستعمار الحـديث وهذا لا يمنع من أن بعض اللغات تحافظ على نفسها إذا كانت هناك عمليـات عزلة وفصل عرقي لمجموعة من البشر تحتمي بعوائق طبيعية تـؤدي إلـي الحفاظ على لغتها وثقافتها مثل لغة البربر، ونستنتج من خلال تحليل الخريطة اللغوية للقارة إن توزيع اللغات شديد التعقيد ويصعب توقيعه علـى خـرائط واضحة المعالم وذلك للأسباب التالية:

1) تداخل العديد من اللغات الأفريقية بين القبائل في عدة مناطق يجعل من الصعب تحديد مناطق توطن اللغات المحلية كـذلك صـعب فـصل التداخل بين اللغات في المناطق الانتقالية.
2) هجرات السكان بين مناطق عديدة في القارة خاصة المناطق القبلية ، فتحركات السكان من مكان لآخر تغير لغتهم وهذا يؤدي إلي ازدحـام اللغات وتصارعها أحيانا كثيرة، وقد يتطور الأمر إلي ظهـور لغـة توافقية مابين اللغتين (لغة القادمين ولغة المقيمين).
3) الاستيطان والاستعمار الحديث في قارة أفريقيا ساهم في نشر لغـات بعدة أقاليم بالقارة، كما انه أدى إلي تعديل أو تغيير لغات وطنية عديدة كانت سائدة قبيل قدوم الاستعمار للقارة، فاللغة الغازية تصبح ضرورة للمعرفة والثقافة والفن والتجارة والتبادل والقانون في تلك المستعمرات مع مرور الوقت.
4) صعوبة الحصول على معلومات كافية عن مجموعـات كبيـرة مـن اللغات الأفريقية وحصر عدد المتحدثين بها.

5) ظاهرة نزوح اللغات وهجرتها تلعب دورها في توزيع اللغات بالقارة الأفريقية من خلال هجرة بعض الجماعات البشرية من مناطقها إلي خارج القارة مثل هجرات الشباب الأفريقي إلي أوروبا، خاصة دول فرنسا وايطاليا وبريطانيا، فبعض هولاء الشباب من مجموعات لغوية محدودة جداً، فهم لهم لغتهم وثقافتهم المحلية ويشكلون جاليات في بلدان الغربة يبدأون في الانصهار في تلك المجتمعات المستقبلة لهم مما يجعلهم يبتعدون بصورة أو بأخرى عن لغتهم الأم وعندما يعودون إلي أوطانهم ينشرون لغات تلك المجتمعات مما يترتب علية ظهور لغات جديدة أو لهجة جديدة في المجتمعات الأفريقية.

6) ضعف اللغة الأم أمام اللهجات المتفرعة عنها، حيث يترتب على انتشار لغة ما في مناطق متنوعة ومتباعدة بين مجموعات بشرية مختلفة المهن والثقافة والمستوى الاجتماعي ولادة لهجات محلية متباينة ومرتبطة بمناطقها المحلية، ويؤدي تفاوت تلك اللهجات المحلية إلي تصارع فيما بينها مما يضعف اللغة الأم وتبدأ اللهجات المحلية تنفصل تدريجياً عن اللغة الأم وتقوى وتتطور وتكون شخصية لغوية خاصة بها مما يؤدي في النهاية لبروز لغة محلية جديدة.

7) صعوبة تعريف اللغة بشكل واضح ودقيق في ظل التغير المستمر للغات الأفريقية وتعدد لهجاتها المحلية، مما شكّل صعوبة في معرفة التوزيع المكاني للغات في القارة السمراء.

موت اللغات في قارة أفريقيا

تتعدد اللغات في قارة افريقيا ولكن لأسباب سياسية واقتصادية وديموغرافية مفاجئة تتجه للتناقص نتيجة للاتصال غير المتكافئ للمجموعات اللغوية

المختلفة، وموضوع البحث هنا هو معرفة الظروف وتشخيصها، تلــك التــي تتناقص فيها لغة معينة لدرجة أن متكلميها يستعينون بلغة إضــافية لإشــباع حاجاتهم الاتصالية، والأداة الأجنبية – أي اللغة الإضافية – تخترق تــدريجيا في البداية مجالات الاتصال وتتزايد باستمرار وفي النهاية تحل محــل اللغــة الأصلية للمجموعة.

يقال عن اللغات الأفريقية أنَّها لغات بسيطة على أساس أن الثقافــات بمستواها التقني البسيط لا تتطلب تعقيداً، وهي لغات شفهية في معظمها وقليل منها مكتوب (Blji 1996: 224)، ويذهب العديد من علماء اللغات أن أفريقيا غابة من اللغات وهذا العدد الكبير من اللغات جعل خريطة اللغات معقدة جــداً بحيث أصبحت الخريطة اللغوية تمتاز بوجود أكثر من جزيرة لغوية كل منها منعزل عن الآخر، وهذا الأمر أدى إلي تعدد اللغات داخــل الدولــة الواحــدة بالقارة، فمثلاً أوغندة عندما حصلت على استقلالها كان راديو أوغنــدة يــذيع بست لغات هي: الإنجليزية، اللوجاندا، الرونيورو، الايتزو، اللو، الروتــورو، وفي مارس 1967 تم إضافة عشر لغات أخرى تذيع بها إذاعة أوغنــدة، ثــم أضيفت عدة لغات أخرى في سبتمبر عام 1969، ليصل الرقم إلــي ثمــاني عشرة لغة هي: الإنجليزية، اللوجاندا، الرونيورو، الايتزو، اللو، الروتــورو، لانيولي، سيبي ورو تورو، روكيجا، ماوي، لوجبــارا، كومــاني، لوســوجا، لوسامبا، رانيان كوري، كاراموجنج، كاكوا، هندوســتاني (ســعودي 2002: 15–16). ومن أمثلة التعدد اللغوي في إفريقيا ما نجده في دولة السنغال التي تضم عشر لغات محلية وفي دولة الكمرون التي تضم 200 لغة محلية منهــا تسع لغات رئيسية، وزائير التي تضم 300 لغة منها خمس لغات رئيــسية و دولة نيجيريا التي تضم 350 لغة منها 11 لغة رئيسية، كذلك الحال بالنــسبة

لدول تشاد والنيجر ومالي الواتي تتداخل فيها اللغات الأفريقية مع اللغة العربية واللغة الفرنسية.

أشكال موت اللغات

يقول عالم اللغويات جون كالفيت أن انقراض أو اندثار اللغات يحـدث وفقـاً لثلاث عمليات هي:

1) التحول: ويحدث على مدى طويل أي بالتغيير التدريجي من لغة إلـي أخرى، كما هو حال اللغة اللاتينية مثلاً، التي تولدت عنهـا اللغـات الفرنسية والأسبانية والإيطالية.
2) الاختفاء: وهو ظاهرة مرتبطة بالزوال المادي لـشعب مـا وللغتـه، ويكون ذلك نتيجة عملية ابادة جماعية أو وباء أو لغيـاب التوريـث والتواصل اللغوي، ففي عام 1974 توفي آخر متحـدث بالمانكـسوا وهي لغة من لغات الهنود الحمر فماتت هذه اللغة معه.
3) الإحلال: ويعني هجران لغة مغلوبة لصالح لغة غالبة، وهي ظـاهرة تحدث في أغلب الأحيان لأسباب اقتصادية واجتماعية، كما بيَّن ذلـك كلود هاجيج أستاذ اللغويات في كولنج دو فرانس، ففي مصر يهجـر الشباب النوبيون لغة جماعتهم إلي اللغة العربية وذلك حين يـذهبون إلي القاهرة بحثاً عن عمل، كما أن التوراة قد جعلت من التعدد اللغوي عقوبة إلهية سلطت علي بابل، فلا يزال البعض يعتبـر هـذا التعـدد تهديداً للوحدة الوطنية، ولقد قمعت فرنسا بشدة لمدة طويلة مثلها مثـل دول كثيرة اللغات المحلية معتبره إياها مرفوضة سياسياً الشئ الـذي

أدانه بقوة كلود هاجيج لكونه ابادة لغوية تمارسها الدولة الفرنسية (فليب 2005: 35).

لكن كيف نعرف أن لغة ما قد أضحت مهددة؟ هناك بعض المؤشرات التي تدل على موت اللغة منها مؤشرات إحصائية خارجية توضح ضعف القدرة التواصلية للغة ما خاصة إذا كانت هذه اللغة منغلقة على طائفة معينة أو حدث تراجُع لعدد المتكلمين بها ، كما أن هناك بعض المؤشرات الإحصائية الخارجية الدالة على انحسار اللغة التي تبين درجة تقهقر اللغة ذاتياً مثل تغير قواعد النحو واختفاء بعض مفرداتها مما يجعلها عرضة للامتصاص من قبل لغة أخرى.

وقد ميّز عالما اللغويات والأنسانيات الإنجليزيان دانييل نيتل وسوزان روميين، بينَ موت اللغة من أعلى إلي أسفل حيث ترفض مؤسسات الدولة الرسمية استخدام هذه اللغة مثل المحاكم والإدارات العليا والمدارس والجامعات مثل ما حدث للغات السواحيلية والهوسا والنيجركنغو والنيلي الصحراوي وحلت محلها اللغة الفرنسية واللغة الإنجليزية كلغة رسمية لعدة دول افريقية مثل: تشاد، الكمرون، النيجر، مالي، غانا، نيجيريا، كينيا، ساحل العاج، السنغال وغيرها من الدول؛ وبين موت اللغة من أسفل إلي أعلى الذي يحدث في الاتجاه العكسي، فاللغة هنا لا تستخدم كما هو الحال في الحياة اليومية لكن يقتصر التعامل بها في بعض مؤسسات الدولة كما هو الحال في دول الجزائر وتونس و المغرب في التعامل باللغة الفرنسية والعربية، فالعديد من مؤسسات الدولة تستخدم اللغة الفرنسية بالرغم من أن اللغة الرسمية للدولة هي اللغة العربية.

أسباب موت اللغات

بالرغم من أن موت اللغات في قارة أفريقيا ليس ظاهرة جديدة، فإننا نشهد اليوم تزايداً مذهلاً في سرعة اندثارها ففي كل سنة تموت في المتوسط 25 لغة، أي لغة كل 15 يوماً تقريباً نصف هذه اللغات تتركز في قارة أفريقيا، هذا الانقراض اللغوي يعود إلي عدة عوامل متنوعة داخلية وخارجية يمكن حصر أهمها فيما يلي:

1) هيمنة اللغات الاستعمارية في القارة، فبعض الدول الأفريقية تتبع سياسة مركزية من أجل المحافظة على وحدة أراضيها ومن أجل محاربة التعدد اللغوي فتلجأ إلي استعمال اللغة الاستعمارية لغةً رسمية، الأمر الذي يؤدي إلى انقراض اللغات المحلية إذ تسود لغات الدول الاستعمارية الكبرى وتصبح لغة التخاطب والدراسة والصحافة والتلفزيون والانترنت.
2) لا تعترف العديد من دول القارة بلغات الأقليات كما هو الحال في تشاد والنيجر ومالي فهي لا تعترف باللغة العربية لسكان شمال دولها، كذلك اللغة الامازيغية في كل من ليبيا وتونس والجزائر والمغرب، فهي بهذه السياسة تحاول القضاء على تلك اللغات وفرض لغة الدولة الرسمية عن طريق التمدن وبناء الدولة الحديثة.
3) حروب اللغات في القارة خاصة بين القبائل المتناحرة، فهي جزء من الصراع الاجتماعي داخل المجتمعات الأفريقية فغالباً ما تؤدي إلي هيمنة لغة القبيلة المنتصرة خاصة أن معظم الدول الأفريقية ذات

تركيبة قبلية شديدة التعقيد، كما أن أغلب الدول الأفريقية تتنوع ديانات سكانها مما يجعل هنالك تعّدداً رهيباً للغات، فمثلاً دولة غينيا بيساو يتقاسم سكانها المحليين أكثر من ألف لغة محلية مع تنوع أعراقهم ودياناتهم مما يجعل الصراع اللغوي مستمراً بشدة (Murray 1981: 25-28).

4) الهجرات القسرية إلى وجهات متعددة أي الهجرة غير المبرمجة وغير المنظمة بفعل ظروف قاهرة خارجة عن إرادة الجماعة المهاجرة تلك الهجرات تؤدي إلى الاختلاط مع أمم جديدة وشعوب غريبة يصبح معها إلزاماً على الفرد اتخاذ لغة تلك البلاد أو الدولة لغةَ حديثٍ وعملٍ، فاللغة الأصلية تنتهي عند الجيل الثالث أو الرابع على أقل أو أبعد تقدير، فالجيل الأول يكون أحادي اللغة ويتعلم قليلاً من اللغة السائدة، أما الجيل الثاني فيصبح ثنائي اللغة إذ يتعلم لغة الآباء ولغة المجتمع السائدة، أما الجيل الثالث فيتعلم اللغة السائدة في المجتمع وقليلاً من لغة الآباء والأجداد السائدة في البيت وبهذا تنحسر اللغة ألام شيئاً فشيئاً وتتلاشى وهو ما يحصل مع كل المهاجرين الأفارقة إلى أوروبا خاصة إلى دول فرنسا وانجلترا والبرتغال.

5) الكوارث الطبيعية مثل الزلازل والبراكين وموجات الجفاف فهي في كثير من الأحيان تؤدي إلى القضاء على بعض القبائل أو التجمعات البشرية المحدودة ذات لغات خاصة بها، كما أن هذه الكوارث قد تسبب في نزوح إجباري لسكان تلك المناطق يؤدي إلى هجرة المكان نهائياً ولجوئهم إلى مناطق جديدة أخرى تفرض عليهم ترك لغاتهم الأصلية وتعلم لغة المناطق المستقبلة لهم.

6) تشير تقديرات الأمم المتحدة عام 2050 إلي أن عدد سكان العالم سيصل إلي حوالي 11,5 مليار نسمة، وان هذا النمو السكاني يحدث بنسبة كبيرة في الدول النامية، خاصة قارة أفريقيا، أي أن السكان في دول القارة يصبحون بشكل متزايد أكثر شبابية، هذا التحول العالمي في موقع السكان الشباب سيكون له عواقب لغوية، وبسبب أن الشباب هم فواعل أساسيين للتغيير اللغوي والتنمية بينما السكان كبار السن يكونون أكثر استقراراً في عادتهم الكلامية، فإننا يمكن أن نتوقع أن التغيير اللغوي بين أقاليم القارة يؤدي إلي انقراض عدة لغات محلية.
7) التحول في العلاقات الاقتصادية بين الدول الصناعية والدول النامية له تأثير واضح على موت اللغات في الدول النامية؛ فمن الواضح أنَّ اللغة التي يتم تداولها في الدول الصناعية الغنية هي أكثر جاذبية للمتعلمين من أبناء الدول النامية، فالعلاقة بين القوة الاقتصادية وشعبية اللغة تكون جذابة، وهذا ما ينطبق على معظم دول قارة أفريقيا النامية ويشكل لهم دافع للهجرة إلي الدول الأوروبية وإلى تعلم لغاتها على حساب لغاتهم المحلية.
8) تعد التكنولوجيا ذات تأثير سلبي على اللغات المحلية في دول القارة الأفريقية، فالتغيرات الرئيسية في الثقافة والتعليم واللغة المرتبطة بتكنولوجيا المعلومات والاتصالات تفرض على سكان دول القارة الأفريقية الذين يحتاجون إلي التعامل مع ثورة المعلومات والاتصالات تعلم اللغة الإنجليزية باعتبارها لغة التكنولوجيا والمعلومات في العالم.
9) إهمال المتحدثين بها لها باستعمالهم للغات أخرى لأسباب عديدة نفسية واقتصادية واجتماعية والاهم الأسباب السياسية.

10) عدم وعي مستعملي اللغة الأصلية لأهمية لغتهم وتطويرها بحيث تناسب المعارف والعلوم وتصلح لكل مناحي الحياة.

11) لجوء مستعملي اللغة إلي الاقتراض المباشر من لغات أخرى مثل استخدام الألفاظ التجارية والعلمية الواردة دون تحوير أو اقتباس أو ترجمة إلي اللغة الأم.

12) عدم قدرة العديد من الدول الأفريقية علي تطوير لغاتها ودعمها وذلك لعدم الإتفاق على تلك اللغات مما يؤدي في نهاية الأمر إلي إهمالها وبالتالي انقراضها.

هذه بعض الأسباب التي تساعد على انقراض اللغات بصفة عامة، وقد يكون هناك أسباب محلية تخص دولاً معينة، فالتباين اللغوي مختلف من بلد إلي آخر ودرجة التقدم والتحضر تلعب دوراً بارزاً في نمط الحياة العصرية التي تمتاز بالإيقاع السريع مما يجعل العديد من البلدان الأفريقية تحاول السير على نهج الدول الأوروبية لتحقيق تنميتها الاقتصادية والاجتماعية. جميع هذه الأسباب وغيرها ساهمت في موت اللغات بقارة أفريقيا وأدت إلى عواقب وخيمة على انتشار اللغات وتطورها بل على مكونات الثقافة في القارة التي ترتكز على مفهوم اللغة ومعانيها، ومن هذه العواقب لموت اللغات هيمنة اللغات الاستعمارية، فمعظم دول القارة أصبحت لغاتها الرسمية هي لغات مستعمريها السابقين باستثناء دول شمال أفريقيا العربية وهي: السودان، مصر، ليبيا، تونس، الجزائر، المغرب وموريتانيا، ولذلك نجد أن جزءاً كبيراً من الدول الأفريقية يتحدث باللغة الإنجليزية واللغة الفرنسية بالإضافة إلى بعض الدول التي تعتبر اللغة البرتغالية هي اللغة الرسمية لها. والهيمنة اللغوية ليست ظاهرة جديدة وليدة عصر العولمة وإنما تعود إلى عهد التوسع الاستعماري في

القارة، فمثلاً هيمنة اللغة الإنجليزية في العالم تعود إلى عصر الإمبراطورية البريطانية التي احتلت مكانة أعظم دولة في تلك الفترة وضمت مستعمرات عديدة في معظم أرجاء العالم، من بينها قارة أفريقيا، فكانت لبريطانيا إمبراطورية لا تغيب عنها الشمس فاستحقت اللغة الإنجليزية لقب اللغة التي لا تغيب عنها الشمس.

إلا أن من أسباب اللغة الاستعمارية في القارة الأفريقية هي أنها لغات الدول المتقدمة صناعياً وتجارياً مثل الولايات المتحدة الأمريكية وبريطانيا وفرنسا وألمانيا وهولندا ...الخ باستثناء الصين التي لم تنشر لغتها الرسمية ، ولعل هذه السيادة اللغوية تعود إلى القدرات الاقتصادية والسياسية و التكنولوجية و الثقافية الضخمة لتلك الدول. من عواقب هيمنة اللغات الاستعمارية تأصيل التبعية الاقتصادية والفكرية والصناعية بين الدول الأفريقية والدول الاستعمارية السابقة ، حيث تصبح اقتصاديات بلدان القارة الأفريقية خاضعة بشكل مباشر للشركات الأجنبية، كما أن المشروعات الكبرى وعمليات التصنيع والتعاملات المالية تكون مع الدول الاستعمارية المهيمنة لغوياً، بل يصل الأمر إلى درجة أن المؤسسات التعليمية المختلفة تتخذ من اللغة الاستعمارية السابقة (الإنجليزية – الفرنسية) لغة التعليم الأساسية (William: 387). ومن عواقب الهيمنة اللغوية في قارة أفريقيا ظهور من يحاول الاعتماد على لغته المحلية ومحاربة اللغات الأجنبية، ومن ثم سيكون في عزلة كاملة نظراً لان اللغات الأجنبية هي لغات التبادل الثقافي على المستوى الدولي، فاللغة الإنجليزية هي اللغة العالمية الأولى للثقافة والاتصالات وثورة المعلومات، فمعظم شبكات الانترنت تستخدمها، بالإضافة

إلى أنها لغة التجارة والصناعة العالمية، فالعيش بعيداً عنهــا يعنـــي ضــعف الاقتصاد وبدائية الصناعة وتدني الثقافة والتعليم وتخلف المجتمع.

ومن العواقب الأخرى لموت اللغات ظهور حروب اللغات في بعــض مناطق القارة الأفريقية، خاصة أنَّ نصف اللغات المحلية في القارة في حالــة احتضار وتتحدث بها مجموعات محلية عرقية محدودة، وفي محاولتها للحفاظ على لغتها المحلية تحاول أن تتصادم مع مجموعات عرقية أخــرى للقــضاء عليها اعتقاداً منها بأن انتصارها عليها يسمح لهــا بالمحافظــة علـــى لغتهــا المحلية، فالصراع بين اللغات والنعرات المحلية يعد صراعاً اجتماعياً ومــن الوسائل التي تستخدمها الدول الأجنبية لفرض سيطرة لغاتها؛ فدولــة فرنـــسا تحاول اتباع هذا الأسلوب في مستعمراتها السابقة ليكون المجال مفتوحاً أمـــام اللغة الفرنسية بالقارة لكي تنتشر. والمثالُ البارز في هذا الجانب ما قـــام بـــه مركز الدراسات من أجل التطوير والتنمية CEFOD الذي يعد أكبر مركـــز للبحوث في دولة تشاد، فقد بذل أكبر جهد في سبيل نشر اللهجــات العاميــة التشادية وكتابتها بالحروف اللاتينية، حيث أنشا قسم أكاديمي لتدريس اللغـــات العامية التشادية مما سمح بانتشار اللغة الفرنسية في مقابل انحـــسار اللغـــات المحلية التي من بينها اللغة العربية (أحمد 2001: 21–24).

ومن عواقب موت اللغات في قارة أفريقيا ظهور ما يعرف بالتبعيـــة اللغوية، فالتبعية اللغوية داء يصيب اللغات العالمية جميعها، ولكنه بشكل نسبي ويظهر في عدة أشكال كما يطلق عليه في عرف اللغويين (القرض اللغـــوي) ولكنه عندما يخرج من إطاره يصبح مرضاً، فالدول الأوروبية تتنافس فيمـــا بينها في نشر لغتهم وثقافتهم بين شعوب القارة مما يخلق تبعية لغوية وفكرية تأخذ مظاهر عديدة منها ما يعرف بالانهزامية اللغوية، مثل انتـــشار اللغـــات

الأجنبية في أسماء المحلات والأطعمة والسلع، كما أن الأفراد يصبحون مزدوجي اللغة بمعني يستعملون ألفاظا ليست من لغتهم مثل OK في اللغة العربية بدلاً من حسن طيب أو WE بالفرنسية بدلاً من نعم، فمعظم الأفارقة يسارعون إلى استخدام هذه المفاهيم والمصطلحات بحكم النفسية المتخاذلة والضائعة والتائهة عند اغلبهم.

سبل مكافحة موت اللغات في قارة أفريقيا

اقترح بعض العلماء في مجال اللغويات خططاً عملية مدروسة بعناية لاتخاذ سياسات فعالة تتوافق مع الحفاظ على اللغات الوطنية وتطويرها وفقاً لمخططات لغوية تسمح بالتطور المستمر للغات خاصة في قارة أفريقيا دون التضحية ببعض اللغات ولذلك يناضل بعض العلماء مثل دانييل نيتل وسوزان رومين من اجل عولمة لغوية عادلة متنوعة، ولكي يكون هذا التحرك فعالاً لابد من اتخاذ إجراءات ملموسة منها أن تتمتع لغات الأقليات بوضع قانوني رسمي والسماح باستعمالها في مختلف وسائل الإعلام وتشجيع تدريسها في المدارس وفي المنازل بصفة خاصة. ولتفادي عملية موت اللغات في قارة أفريقيا يجب اتباع عدة خطوات للحد من هذه الظاهرة والمحافظة على ما تبقى من لغات القارة من اهمها مايلي:

1) اعتماد أحدث الأساليب في تعليم اللغات الأفريقية الوطنية وتسخير الوسائل التقنية الحديثة لخدمة التعليم بالدول الأفريقية، وفقاً لسياسات تخدم المحافظة على اللغات المحلية ولغات الأقليات بدون أن تمتد أثارها إلى وحدة البلاد.

2) إنشاء المراكز الثقافية في مختلف البلدان الأفريقية، على أن تكون من مهامها الرئيسة المحافظة على لغات الأقليات وتطويرها بما يخدم التنوع اللغوي في تلك البلدان.

3) إنشاء مجلس قاري للتخطيط اللغوي وتقديم الدعم المادي الإعلامي له وغير ذلك من جميع أوجه الدعم للحفاظ على اللغات الوطنية ولغات الأقليات، لأن موت اللغات أو تراجع أية لغة سيؤدي إلى خلل وضعف في بنية الهوية والثقافة الوطنية.

4) ضرورة أن تذعن الدولة بمؤسساتها للتوجيهات اللغوية التي تدعو إليها مجالس اللغات الوطنية.

5) أن تدعم الدول الوطنية إصدار منشورات وصحف وكتب باللغات الوطنية ولغات الأقليات لنشر تلك اللغات.

6) أن تقوم البحوث والدراسات اللغوية في الجامعات الأفريقية، بتخصيص مقدار يعتد به من الدراسات الأكاديمية للاهتمام بقضية اللغات المحلية ولغات الأقليات وسبل المحافظة على تلك اللغات من الانقراض اللغوي.

7) محاولة إدماج اللغات الوطنية لدول القارة في نظام التجارة والصناعة المتبادل بين الدول المتقدمة والنامية، بمعنى تحديد شروط للبضائع والعلامات التجارية التي تدخل لبلدان القارة وفقاً للغاتها المحلية.

8) تفعيل حركة الترجمة من اللغات الوطنية ولغات الأقليات إلى اللغات الأجنبية (الإنجليزية، الفرنسية، الأسبانية، البرتغالية) وبالعكس، لإثراء الحراك الثقافي والتبادل الحضاري لضمان عدم انقراض اللغات في قارة أفريقيا.

9) تفعيل اللغات الوطنية للـدول الأفريقيـة فـي المـؤتمرات الدوليـة والمنظمات الدولية، مما يزيد مكانتها ويحافظ عليها مـن الانقـراض اللغوي.

10) تبدو شبكات الاتصال العالمية من الوهلة الأولى قادرة على تسهيل التبادل الثقافي متجاوزة الحدود اللغوية، ولئن بدت شـبكة الانترنـت قادرة على تشكيل تهديد حقيقي لهذه اللغات فأنها أيضا قـادرة علـى حماية اللغات الأقل استخداماً وإحيائها، عندما يحافظ الأفراد الناطقون بها على استخدامها في شبكات الاتصالات الدولية.

11) نشر الوعي بأهمية استعمال اللغات المحليـة ولغـات الأقليـات، للمحافظة عليها من الانقـراض اللغـوي والمحافظـة علـى هويـة المجتمعات الأفريقية.

مصادر الدراسة

أحمد، صقار محمد (2001) "**من تحديات اللغة العربية في تشاد**"، ندوة اللغة العربية في تشاد، جامعة القاهرة، معهد البحوث والدراسات الأفريقية.

برنامج الأمم المتحدة الإنمائي (2004) **تقرير التنمية البشرية**، نيويورك.

بن سالم، حميش (2000) "الفرانكفونية والفرنسية"، **مجلة المستقبل العربي**، العدد 200.

جابر، محمد مدحت (2007) **الجغرافيا البشرية**، القاهرة: مكتبة الأنجلو المصرية.

حجازي، محمود فهمي (1998) **مدخل إلي علم اللغة**، القاهرة: دار قباء للطباعة والنشر والتوزيع.

الحديثي، عباس غالي (2007) "**الأبعاد الجغرافية السياسية للغة والهيمنة اللغوية في ظل العولمة**"، بحث مقدم إلي مؤتمر العلوم الإنسانية في ضوء المتغيرات الدولية المعاصرة، جامعة السابع من ابريل، 12-2007/11/14، مدينة الزاوية، ليبيا.

سعودي، محمد عبد الغني (2002) "**مكان اللغة العربية ومكانتها والتحديات التي تواجهها في أفريقية: نظرة استراتيجية**"، العدد 37، تصدر عن معهد البحوث والدراسات العربية، المنظمة العربية للتربية والثقافة والعلوم.

السيد، عمر الفاروق (1989) **الجغرافيا السياسية**، القاهرة: دار الشعب.

شتا، السيد علي (1998) **علـــم الاجتمـــاع اللغـــوي**، الإســـكندرية: مركـــز الإسكندرية للكتاب.

العوامي، مستور حماد (2010) "**اللغة، ظاهرة اجتماعية: دراسة في علاقـــة علم الاجتماع باللغة**"، مجلة منارة البحوث الاجتماعية، العدد 4.

العيسوي، فايز محمد (2000) **أسس الجغرافيا البـــشرية**، الإســـكندرية: دار المعرفة الجامعية.

فليب، كارين (2005) "في أفوال اللغة"، ترجمة الياس عطا، **مجلـــة الثقافـــة العربية العالمية**، العدد 129.

Blji, H. J. (1996) **Human Geography: Culture, Society and Space**. New York: John Wiley.

Cohen, S. B. (1974) **Geography and Politics in a World Divided**, London: Heffer.

Kasperrson, R. and Julian, M. (1970) **The Structure of Political Geography**, London: University of London.

Murray, J. (ed.) (1981) **Cultural Atlas of Africa**, Oxford: Phaidon.

William, C. H. **The Political Geography of the New Order**, New York: Halsted.